العنف المرمّز في النّص الشّعري العّراقي التّسعيني العنف المرمّز في النّص الشّعري العّراقي التّسعيني

م . م . عبد الهادي حسين كامل هادي
مركز أبحاث الطفولة والأمومة / جامعة ديالى .

المُلخص

جاء هذا البحث ليسلط الضوء على العنف المرمّز وهو واحد من المفاهيم الإنسانية الداخلة على المنظومة الفكرية المتكاملة بما يخص تناوله على المستوى العابر للتخصصات ، فهو مفهوم إجتماعي – نفسي ، سنتناوله من منظور نقدي نصي أدبي عبر اللغة بممكناتها و محمولاتها العصرية ، فهو ثيمات متناثرة انسلت الى النص التسعيني الشعري العراقي ، بما معنى مرمز متخفي بوساطة اللغة خلف أفكار طارئة على الشعرية العراقية ومتغربة نوعاً ما في التلقي الاعتيادي ، فأتخذ من النصوص التسعينية البحتة ممثلة لتلك الحقبة المليئة بالقهر والسلب والحرمان واللجوء إلى استخدام الرمزية بأبعد حدودها كون هيمنة السلطة متضحة على حياة العراقي بكل تفاصيلها ، إذ تناول نصوص لشعراء مثل عارف الساعدي وكاظم الحجاج وأحمد الشيخ علي وخزعل الماجدي وريم قيس كبة ...

منتهياً إلى أهم النتائج الكاشفة عن التبني الخاص بالعنوان ومرفوداً بالمصادر العامة والخاصة إلى المجموعات الشعرية .

Abstrsct

This research came to shed light on symbolic violence, which is one of the human concepts included in the integrated intellectual system with regard to dealing with it at the transdisciplinary level. It is a social-psychological concept, which we will address from a critical, literary, textual perspective through language with its modern possibilities and predicates. It is scattered themes that have slipped into The Iraqi poetic text of the nineties, including a symbolic meaning hidden through language behind ideas that are incidental to Iraqi poetry and somewhat alien in the ordinary reception, so I took the pure nineties texts as representative of that.

An era full of oppression, plunder, deprivation, and resorting to the use of symbolism to its extreme, since the dominance of authority was evident over the life of the Iraqi in all its details, as he dealt with texts by poets such as Arif Al-Saadi, Kazem Al-Hajjaj, Ahmed Sheikh Ali, Khazal Al-Majidi, and Reem Qais Kubba...

Concluding with the most important results revealing the adoption of the title, accompanied by public and private sources and poetry collections.

المقدمة

الحمـــدُ لله ربّ العـــالمين والصـــلاة والســـلام علـــى رســـولهِ الأمـــين، وأصـــحابه أجمعين، وبعد:

يعـــد العنـــف واحـــد مـــن المـــؤمثلات الفكريـــة الداخلـــة علـــى التنـــاول الاعتيـــادي فـــي دراســـاتنا الأكاديميـــة ، إذ دُرس فـــي مفاصـــل كثيـــرة وفـــي مواضـــعات متعـــددة تحـــت عنـــاوين بعضـــها مبتكـــر وبعضـــها مســـتلهك ، ومـــن خصـــائص البحـــث الإنســـاني المعاصـــر أن يبتكـــر العنونـــة و يبنـــي عليهـــا تصـــورات جديـــدة نـــاتج عنهـــا أفكـــار مســـتحدثة ، فهـــذه الدراســـة هـــي بمثابـــة البحـــث الأكـــاديمي العصري الذي يريد أن ينتج نتائج مبتكرة جديدة .

فمـــن زوايـــا الـــنص التســـعيني هنـــاك دراســـات أكاديميـــة عديـــدة تناولتـــه بالقضـــايا الفنيـــة والموضـــوعية ، واجتراحـــي للعنـــف المرمـــز هـــو تبنـــي خـــاص للباحـــث بمـــا معنـــاه العنـــف المتخفـــي خلـــف ممكنـــات اللغـــة الشـــعرية فـــي الـــنص التســـعيني ، اتخـــذت مـــن هـــذه الحقبـــة كـــون الـــنص الشـــعري كـــائن حـــي لديـــه زمنيتـــه ومكانيتـــه الخاصـــة ، قصـــدت الفتـــرة التســـعينية بكـــل مآلاتهـــا السياســـية والاجتماعيـــة و النفســـية ، بحثـــاً عـــن الوثـــائق التـــي وضـــعها شـــعراء العـــراق آنـــذاك ، بعيـــداً عـــن التجييليـــة الفنيـــة أو الزمنيـــة فالنمـــاذج (شـــعراء) اختطـــت كتاباتهم من الجيل السبعيني والثماني عابراً التسعيني وإلى ذلك .

جاء هذا البحث على ثلاثة محاور رئيسية :

أ . العنف المرمز ، قراءة معرفية في الكشف المفاهيمي لهُ .

ب. النص التسعيني من منظور نقدي مُتعدد .

ج. تمثيلات الُعنف المرمّز في النصّ الشعّري التّسعيني .

أ . العنف المرمز ، قراءة معرفية في الكشف المفاهيمي لهُ .

لقد فهمنا مسبقاً أن كل قوة لها قوة عارضة أو مضادة في الدرس الفيزيائي الأولي ، ومن هذه الفكرة علنا نفهم العنف أنه مضاد للرفق ومرادف للشدة والقسوة والعنيف هو المتصف بالعنف ، فكل فعل شديد يخالف طبيعة الشيء ويكون مفروضاً عليه ، من خارج فهو بمعنى فعل عنيف ... وجملة القول أن العنف هو استخدام القوة استخداماً غير مشروع . [i]

إذا لا يقتصر هذا الشكل من العنف إذا كان لغوي او لفظي أو رمزي على فئة اجتماعية دون أخرى ، بل انه يمس كل الفئات دون استثناء كما لا يقتصر على سن أو جنس معين فهو يمس كلا الجنسيين وكل الفئات العمرية ... وهذه واحدة من فلسفات العنف أنه شمولي بمعنى عام ، وعابر للفات .

فتختلف أشكال العنف اللغوي اللفظي باختلاف أصحابها ورأسمالهم الثقافي والمكانة التي يحتلونها ويختلف من فئة اجتماعية الى أخرى . [ii]

بمعنى آخر استلبه الشعراء كافة من بيئات عديدة وزمانية عابرة للخط الفكري البشري ، فالعنف هو حالة إنسانية نفسية مضادة وقوة متفاوتة بين البشر ، حيثما وجد إنسان فهناك عنف وهذا لا يقتصر على هذا الكائن فقط ، بل على بقية الكائنات الأخرى .

ما أريد تبنيه هو أن العنف أخذ متلازمة خطية مع الشعر بدليل وجوده بنماذج شعرية عربية قديمة في الشعر الجاهلي .

ولا يقتصر على البيئة العربية فقط ، بل هذا تجني واضح إذ وجد بالثقافة الغربية أيضاً .

لقد أعتاد الشعراء والذائقة على تصوير الشعري الميال الى العنف حتى أصبح العنف جزءاً من الوعي والمتخيل الشعري و جزءاً من التكوين المعرفي فباتت علاقة ثقافية متجذرة يصعب التملص منها ، وعملت الصور المجازية على تجميل ما يعد قبيحاً من المنظور الثقافي ، كما عملت على تجذير القيم والسلوكيات العنيفة وجعلها ثوابت يمنع المساس بها[iii]

حتى يمكن القول أن هذا المفهوم واحد من نتاجات الحداثة الفكرية بكل تمفصلاتها فـ

((يعد مفهوم العنف الرمزي من أكثر المفاهيم حداثة وجدة ، ونظراً لحداثته النسبية فأنه يقع في دوائر المفاهيم الإشكالية الغامضة ويبقى أسير الرهانات الفكرية والنقدية التي تحاول حقله وهندسة أبعاده وتعييناته ، فهو مفهوم غامض في أصوله وهو مفهوم كموني يحتاج للمزيد من الوقت كي يتجاوز مرحلة الاختمار الى مرحلة النضج والتكامل)) [iv]

فمن باب التلقي المفهومي يتسع أكثر للتلقي المعاصر إلى أنه الشيء واضح أن هناك عنفاً سياسياً تاريخياً يتم إيقاعه ليس فقط بواسطة الكلمات انما في الكلمات أيضاً ، فنرى أحد الخصمين مثلاً ، يناضل لكي يستولي على كلمات خصمه ولحرمانه منها ، وهكذا يكون اختيار الشعارات المناسبة والاستعارات المناسبة شيئاً حيوياً . [v]

وهـــذه التبنيـــات تأخـــذ كثيـــراً مـــن عـــوالم الشـــعرية بفهمهـــا الاعتيـــادي ، إنهـــا مولـــدات باعثـــة لتوليـــد الكلمـــات والخطـــوط الجماليـــة المقصـــدية التـــي فـــاد منهـــا الكثير في الاستثمار الموضوعي للعنف و ثيماته .

فننطلـــق مـــن جـــادة مقصـــدها مفهـــوم العنـــف الرمـــزي وهـــو شـــكل مـــن أشـــكال العنـــف الـــذكي إذ يتميـــز بخاصـــية الـــذكاء والقـــدرة علـــى التـــواري وهـــو يعـــيش فـــي خفايـــا الحيـــاة ويتخفـــى فـــي طياتهـــا وهـــو صـــيغة سوســـيولوجية متقدمـــة مـــن تجســـداته العلميـــة إذ يمـــارس هـــذا العنـــف دوره وفاعليتـــه الثقافيـــة فـــي مختلـــف ميادين الحياة الاجتماعية . [vi]

وبمـــا أن الشـــعر واحـــد مـــن النشـــاطات الإنســـانية الهادفـــة لتقـــويم الـــنفس البشـــرية فيتخـــذ العنـــف منـــه دراســـاً بأنـــه ((نشـــاط تربـــوي هـــو موضـــوعياً نـــوع مـــن العنـــف الرمـــزي ، وذلـــك بوصـــفه فرضـــاً مـــن قبـــل جهـــة متعســـفة لتعســـف ثقـــافي معـــين)) [vii]

وفـــي نهايـــة فهمنـــا لفلســـفة العنـــف نقـــول أنـــه نلاحـــظ إلـــى وقـــت قريـــب مـــن تصـــور (الأيـــديولوجيا) كمـــا يفهمهـــا (مـــاركس) و (انجلـــز) قـــد تغيـــر ليعـــين الاكـــراه الـــذي بوســـاطته يتـــآزر المســـيطر علـــيهم مـــع الســـيطرة التـــي تمـــارس علـــيهم ، وهكـــذا يفســـر بورديـــو ان (العنـــف الرمـــزي) هـــو هـــذا القهـــر لا ينشـــأ إلا عبـــر وســـاطة الانخـــراط الـــذي لا يتـــأخر المســـيطر عليـــه عـــن منحـــه للمسيطر . [viii]

وفـــي ختـــام فهمنـــا للعنـــف وبصـــورة نهايـــة يمكـــن القـــول ((العنـــف الرمـــزي أســـس وحواضـــن فكريـــة وســـرعان مـــا يتحـــول ، فـــي لحظـــة مواتيـــة الـــى عنـــف وشـــدة ، فهـــو يتغـــذى مـــن نفـــس المنبـــع الـــذي يســـتمد منـــه العنـــف الـــدموي أفكـــاره ودوافعـــه

وتفسيراته المؤلمة ومرتكزاته االفكرية والأيديولوجية ةوكذلك تفسيراته الخاصة للنصوص وتضليلاته المشوهة)) [ix]

ب. النص التسعيني من منظور نقدي مُتعدد .

النص التسعيني ، وهو وثيقة زمنية متكاملة عبر عن كل محمولات العصر أو الزمنية التي عاشها الإنسان العراقي إبان 1990-2000 ، وبهذا فالشعر لم يعد مكتوف الأيدي إذا عبر عن هموم الفرد الراقي ومآسيه وقهره السياسي ومصيره الذي ارتبط ثنائية الحياة أو الموت ، نظراً للفترة الصعبة التي مر بها فالنموذج الشعري الذي يكتب الان هو نموذج خاص ومبتكر يختلف عن أي نموذج وعن أي تجربة شعرية سابقة ، إنه نموذج لم يرثه الشعراء ولم يستورده احد ، بل صنعوه بكل تفاصيله وتشظياته[x]

فالنتاج التخيلي للفضاء التسعيني كنص شعري له خصوصيته المتبناة إذ تمخض الفضاء التسعيني عن نماذج وأشكال لا عهد لها ، في الحياتين الثقافية والابداعية / لما فرضه الحصار الاقتصادي من طرق على الحياة الإنسانية فكان بحق[xi] حصاراً اقتصادياً وثقافياً وإنسانياً .

ومن هذا القبيل فتجربة الجيل التسعيني ((نجحت في نقلنا تلى مساحة أخرى اهتز فيها فضاء العلاقات والأفكار في النص الشعري حتى أفضى الى اجتراح أساليب مغايرة متنوعة انسجاماً مع مقتضى الحال)) [xii]

إذا يشكل النتاج الشعري لجيل التسعينات أيقونة مميزة على الشعر العراقي الحديث على مستوى التنوع والتجديد والمغايرة في الكتابة الشعرية فهو منفتح على حاضر تتهشم ملامحه على بنى اسلوبية صورية تماثل الواقع

المتلبس ، وماضٍ محاصر بالكبح والقلق والهواجس المغايرة التي تشكل في خصوصية التجربة التسعينية . [xiii]

ايماناً بالفضاء المتسع بهذه الخصوصية الكبرى التي تجترحه عما يدركه النقد أن التسعينيين اكتشفوا ان ثمة خزيناً هائلاً يتضمنه المعنى في العراق في الحياة العراقية وما ينتج عنهُ من تحولات هائلة وعظيمة وأن تفاصيل تلك الحياة انما هي شعرية بإمتياز ، ذلك انها تعيش انزياحاً يومياً عن المألوف والسائد في الحيوات وغيرها من الشعوب والأمم وإن هذه الجزئية في واقع الأمر سننتج جوهر فكرتهم التي تتبنى المعنى [xiv]

وبالاعتراف الكلي وضع النص التسعيني مكانه الخاص بين النصوص الأخرى ، بحثاً عن مساحة تمثله وبزمنيته اكدت خطورتها على الذهنية العراقية آنذاك وبما يمت بالثقافة العراقية ككل ، بأن الشعر واحد من الخطوط المتقدمة للتمثيل الثقافي ، حتى افضت هذه المساحة إلى ما يسمى بثقافة الاستنساخ التي اعتكفها الشعراء التسعينيون في داخل العراق بحثاً عن مخرج من سلطة الرقابة المرتبط بهيمنة التمثيل السياسي آنذاك .

ج. تمثيلات الُعنف المرمّز في النصّ الشعّري التّسعيني .

الحقيقة التي يجب ادراكها أن الشعر واحد من التعبيرات المباشرة والقريبة للنفس البشرية بما يرتبط بالأحاسيس الخاصة لدى النفس وما يختلجها ، فمن هذه المواضعات لم يكتف الشاعر التسعيني (ما أريد قوله بالشاعر التسعيني الذي انسل تحت البيان التسعيني الذي عهده مجموعة من الادباء بدءاً بعلي سعدون وعمار المسعودي ...) وهذه النصوص التي

وضعتها اعتمدت الزمنية في ولادتها ؛ لأني كما اسلفت أن الحكم الزمني وجهني لكتابة هذا البحث ، النص نفسه لا التجييلية التي اعتمدها بعض النقاد وهذه مواضعات نقدية سار عليها النقد المعاصر إن تكون هناك معارضات لهذه التبنيات الزمنية .

فيمكن البدء بنص عدنان الصائغ الذي يتحدث عن تساؤل ذهني ، خط نفسه في المخيلة العراقية البسيطة .

نظرَ الأعرجُ إلى السّماء

وهتفَ بغضبٍ :

أيها الربّ

إذا لمْ يكن لديكَ طينٌ كافٍ

فعلامَ تعجلتَ في تكويني . [xv]

التمثيلات العنفية مهيمنة عبر اللغة بصورة مباشرة إن لم تختف خلف ممكناتها الدقيقة مثلاً (التساؤل الشارخ للمخيلة البشرية الاعتيادية) من العبد إلى ربه وهذه كسر عرضي للسلطة الكلية الإلهية وتذويتها بصورة لم تألفها الشعرية إذا بما يسمى تعنيف الكلي وكسره بصورة نمطية ، هذا شيء بعيداً إذا رصدته نقدياً ، المعنى اللآخر الذي اريد قوله الهتاف الحاصل بغضب هو ممكن كلي (الهتف) فعل انجازي مضاد دامأ للقرار السلطوي ايأ يكن وتعارض موجود بأي قرار او حكم ... العودة إلى الاستنكار المهيمن في هذا النص هو الطين وارتباطاته كمبنى معرفي للجسد البشري فالاستنكارات موجودة (قلة الطين / التعجل في التكوين)

وهــذه المعارضـــات احيلهـــا الـــى الأشـــياء المرمـــزة البعيـــدة التـــي تعـــود بنـــا الـــى العنــف لــيس كفعــل وإنمــا كــرد فعــل ثقــافي عــالي الجــودة فــي التوظيــف النصــي خصوصاً بحقل الشعر .

إنتقــالاً الــى شــعرية عــارف الســاعدي التــي انســاغ ايضــاً الــى البحــث الوجــودي عــن الــذات بــين العديــد مــن الــذوات الأخــرى ، فيطــرح مواضــعات شــعرية فــي النص :

عندما لم اجدْ أحداً

يتفقدني

أو يرد عليَ التحايا

أبعثُ نفسي

واجمعني قطعةً قطعةً

وأصنعُ لي

شبحاً

في المرايا[xvi]

الــنص ككــل قــائم علــى مهيمنــة كليــة (فعليــة التبعثــر) والتبعثــر مضــاد للانتظــام ، وهــو فعــل انجــازي يحتــاج لطاقــة نفســية لتقبلــه بمــا معنــى أن الشــتات قائمــة فــي الشــاعر نفســه ، العنفيــة المذوتــة ، أي العنــف هنــا بمعنــى متباعــد علــى نفــس الشــاعر ومــن الشــاعر نفســه ، ثــم يغلــق الــنص ايضــاً بفعليــة الجمــع ، أي هنــاك عارضــة التبعثــر وعارضــة الجمــع ، وهــذين

الفعلين بذاتها معنفان بالمعنى الأبعد للذات البشرية ، (وأصنع) حتى هذا الفعل بمعنى مكمل إليها استشعاراً للوحدة المعنفة والباحثة عن حل او مصير نهائي لها .

بحثاً عن شعرية ريم قيس كبة ، وهي معروفة بأسلوبها السلس بتجربة شابة ابان هذه الفترة دائماً ، فأنتجت مخيلتها الشعرية نص معنف إلى حد ما ، (واجتراحي للنص المعنف بما معناه حمل ثيمات العنف بمعنى بعيد جداً لا يدركه القارئ الاعتيادي) :

وأصحو :

أنثاك مكبلةٌ

وفتايَ بلا شفتينْ [xvii]

فثيمة التكبيل التي اريد توجيه نقدي إليها هي فعل عنفي أو مبنى عنفي ينتمي لخارطة متعددة وناتجة من الخارطة اللغوية ومقاربة لسانية مع (الرفض – الضد– القتل – الرهب) وهكذا .

دائماً ما تضع المرأة (وبمخيلتها الكلية) هي ضحية اللاشياء نتيجة المواضعات الثقافية الذكورية المسيطرة على مخيلتها ككائن مستلب ومقهور ومغيب ، فالتعنيف (مكبلة) ما لجأت إليه للتعبير عما افصح النص به .

فوضع المرأة في ها الخط العريض من الانتماءات المعنفة جاء بـ ((أعمالها ذات طابع عنيف جداً – ربما لطبيعة المرأة الجنسية – التي لا تتفق مع العنف التي إذا ما أظهرت فإنها تصل إلى الذروة ، برما تعويضاً

وتحقيقاً وتأكيداً على إنها الأكفأ ، كذلك لأنها تحس بأنها ضعيفة ، ومرفوضة ... تحمل في أعماقها مرارة الاغتراب داخل النفس والمجتمع على حد سواء)) [xviii]

بحثاً عن احمد الشيخ علي في نصهِ الشعري الذي يريد الوصول على حقيقة دامغة موظفاً العنفية :

سقطتُ أنا

حين اطلقتُ سهمي عليهْ

وحين تأوَّه

.. أبصرتُ قلبي

يذوب

على

راحتيهْ ! [xix]

فثيمات السقوط والاطلاق والتأوه هي ممثلات عنفية وثلاثية مرتكز عليه النص بأكمله ، ناتجة عن الخارطة اللسانية من التجذيرات والاستعمالات الخاصة بعوالم الجنس والجنس ايضاً يوظف في تداولياته هذه المواضعات اللسانية ، فالترميزات بُعدية الى حد ما ومنصة بشكل متخفي خلف اللغة ، يريد الشاعر أن يصل الى ضربة شعرية جديدة متغربة في عوالمها ، موظفاً العنف بالنهاية كتخيل فعلي جنسي ضارب في عمق المخيلة الاعتيادية ، وما اريد العودة إليه هو توظيفه للتأوه الحاص

والمخصـــوص عنـــده ، فهـــذا الاســـتعمال بحـــد ذاتـــه مســـتفز شـــعري تخيلـــي تخييلي وضعه لجذب مخيلة القارى بأي مستوى من مستوياتها.

لخزعـــل الماجـــدي تصـــور شـــعري مختلـــف وتوظيـــف اســـلوبي مغـــاير ، مبســـط يؤمثله الشاعر خلف موضوع الحكمة بتفاصيلها المعهودة بنصه :

الماضي جثةُ اليدِ واللسان

ولذلك إضربْ يدكَ ولسانكِ دائماً

تعش أكثر

وتتفتح مأساتٌ وورد تحتَ رمادِكَ

إضرب يدكَ ولسانك

كي لا يضربكَ الموتُ . [xx]

اســـلوبية (الضـــرب) المتكـــررة ثـــلاث مـــرات علـــى طوليـــة الـــنص ، هـــي تبنـــي للشـــاعر والضـــرب بمفهومـــه العـــام هـــو فعـــل مضـــاد للســـكون والثبـــات والســـبات ، فتضـــرب الأشـــياء لكـــي تحـــرك طاقهـــا ، وهـــو فعـــل عنفـــي بحـــد ذاتـــه مهـــيمن علـــى الثقافـــة الاعتياديـــة نـــاتج عـــن ســـلوك مضـــاد دائمـــاً ، وبفلســـفيته العامـــة هـــو يجـــيء لكـــي يغيـــر مـــنن الأشـــياء اشـــياءها ، فيجتـــرح خزعـــل الماجـــدي هـــذه الفعليـــة كـــي ينبهـــا إلـــى خطـــورة الموقـــف آنـــذاك وبهـــذه الزمنيـــة المقحمـــة بضـــرب اليـــد (قصـــداً للســـرقة) وضـــرب اللســـان (قصـــداً لنقـــل الخبـــر والكـــلام) وهكـــذا فالثيمـــة العنفيـــة متخفيـــة خلـــف ســـلوكيات الســـلطة السياســـية وقتهـــا وهـــو تنبيـــه ملازم وضعه الشاعر لكل عراقي بسيط .

يضعنا حسين علي يونس ، بمتلازمة دائمة ووثيقة شعرية (ما اريد قوله بالوثيقة الشعرية ، إنها نقلت لنا صورة ذاك الزمن بمآسيه عبر خواص اللغة الشعرية ، والصورة المتخيلة) ، نقلت مآسي الزمن اثناء الخدمة العسكرية في الجيش العراقي :

اثناء خدمتي العسكرية

صفعتُ (6) مرات

خلال عامين

والمرة السابعة ، حين أوشكتُ

أن أدخل الثلاثين

صفعني شرطي في السابعة عشرة من عمره

لأن لأنفي صارية

ولعيوني أجنة لم تعجبهُ . [xxi]

التمثل العنفي يتضح ببناية الصفع المشكلة كل معنى النص وبهذا فهي مكررة بالمعنى العام سبعة مرات أي بفعليات متعددة ، وهذه متلازمة عنفية ارتأها الشاعر نفسه ، وهي صورة متكاملة لهيمنة السلطة وأجهزتها ، وهذه المتلازمة نقل صوري حصري للحوادث اليومية الخاصة بالفرد العراقي ، و وتهشم الانا الفريدة يتضح باسلوبية (الشرطي السابعة عشرة من عمره) ، وهي توجيه لا فرار منه من تطبيق قرارات السلطة حينها ، فالعنف متضح بصورة جلية متكاملة ، قاصدة تحطيم ذات الشاعر ،لا الشاعر نفسه بل الفردية العراقية آنذاك .

ينقل لنا عماد جبار الشاعر العراقي الذي انبثقت نصوصه الشعرية المعبرة عن مآلات العراقي بكل تفاصيل الحياة اليومية ، فهو يرد لنا نمطية معنفة بنصه :

نهرٌ يجفُ وأنت توغلُ في المنافي

تجرحُ الطرقات

....

و الرجفات

...

سبحان من أصغى لنبضك يا عراق

وأنت تذبحُ

...

سبحان من نزف القصيدة

سبحان من أدمى بشفرتها وريده [xxii]

ثمة خطيات متكاملة يردها الشاعر ، ببنائيات ارتكز عليها النص الشعري ، بل مثلها بأفضل تمثيل ومعبرة عن صورة إرهابية عنفية عبر ممكنات اللغة وانجازاتها منها (جرح الطرقات / الرجفات / تشخيصية الذبح / النزف بالقصيدة / متلازمة الدمي والشفرة والوريد) ، فالمخيلة الخاصة بالشعر التجأت لهذه الممكنات تعبيراً عن صورة ناجعة نافقة من الشاعر نفسه ، الجرح بنية مضادة للالتئام والشفاء – تكرارية الرجفات ايضاً بنائية

مضـــادة للهـــدوء والســـكون والجمـــود ، ةالـــذبح فعـــل إرهـــابي مؤمثـــل وأعلـــى صـــور العنـــف بكـــل تمفصـــلاته ، والنـــزف والـــدمي ايضـــاً متلازمـــات مكملـــة لهـــذه الصـــور المعنفـــة البشـــعة التـــي أوردتهـــا مخيلـــة الشـــاعر (بمعنـــى آخـــر المخيلـــة الإرهابية التي اجترحت في النقد العراقي الحديث) .

فإرهـــاب الشـــعر مـــا هـــو إلا ((إرهـــاب رمـــزي مشـــبع بالـــدلالات التـــي تخلقهـــا اللغـــة بنـــاءً علـــى مـــا تمـــت الإشـــارة إليـــه ، وإرهـــاب الواقـــع فعـــل ســـلوكي مغـــرق بالقســـوة ، إرهـــاب اللغـــة يتحـــول إلـــى نـــوع مـــن المكافـــأة ليعيـــد التـــوازن إلـــى الواقـــع أو ليعيـــد تهيئـــة الواقـــع أو ليكـــون محاولـــة فـــي تخطـــي الواقـــع لا الانكفـــاء عنـــه ، وهنـــا تكـــن أهـــم الـــدلالات التـــي نريـــد توثيقهـــا فـــي الخطـــاب الشـــعري العراقي المعاصر)) [xxiii]

انتقـــالاً إلـــى عبـــد الأميـــر جـــرص وشـــعريته المغـــايرة بنصـــه التســـعيني المصـــور لتلك الحقبة المرسخة في الذهنية العراقية :

وكيف حال الله في الأهوار

هل ما زال يغرق ... ؟

كلما ((بردية)) مرّت

أو كلما ((بنيّة)) مرّت

كيف حالك

أيها الرب الجنوبي

يا رفضنا العالي ... [xxiv]

ثمة سؤال استنكاري (منمط بالعنف) قام عليه هذا النص (هل ما زال يغرق ؟) وهو معنف تخييلي وضعته المخيلة الشعرية الخاصة بالشاعر ، وهي كسر للمهيمنة الكلية الكونية الخاصة بالرب ، وهنا تذويت انوي بمستوى عالي وضعه الشاعر ، لكسر الحد الفاصل بين الرب وعباده ، فالتنميط تجدد واختلف بالنسبة لديه .

طالب عبد العزيز يضعنا بمماحكات مباشرة بالحياة العراقية ، وهو نقل صوري مباشر بواسطة شعريته المباشرة التي ارتأت أن توظف بعض الثيمات المعنفة في نصه :

كلما فكرتُ في المعارك

أدركتُ إني أقسى منها

كلمّا رأيتُ نسراً جريحاً

تحسستُ جناحيّ المكسور

كلمّا تجتاحني الذئابُ

تقتلُ كلباً في روحي . [xxv]

فالمواضعات الادراكية المباشرة ما تعني تكاملية صورة العنف وهي (التفكير بالمعارك) ، (نسراً جريحاً) ، (جناحي المكسور) ، (تجتاحني الذئاب) ، (تقتل كلباً) ، وهذه النواقل أو الاقنومات الكلية هي تكامل صوري توثيقي لصور الحرب التي عايشها العراقي بصورتها اليومية ، فالمعركة دائماً ما تتطلب أفعال معنفة مضادة ، والنسر الجريح ما يضادهُ نسر مهيمن ، والجناح المكسور يقابله جناح سليم ، والذئاب

تقابلهـــا حيوانـــات أخـــرى تضـــاد فعليتهـــا أو صـــفتها وقتـــل الكلـــب يعادلـــه بنـــاء موضـــوعي للحيـــاة ، وهـــذه الاقنومـــات هـــي مرمـــوزات عمـــد اليهـــا للتلافـــي المباشر المعبر عن النقل ، وضعها بمرموزات بعيدة نوعاً ما.

إن لتوظيفـــات الرمزيـــة ، خـــط مســـاير فـــي الشـــعر العربـــي العـــام علـــى طـــول زمنيتـــه ، وخصوصـــاً فـــي الشـــعر رالعراقـــي المعاصـــر ، هنـــاك توظيفـــات لهـــذه التقانة التي افاد منها نامق عبد ذيب :

عندما يأتي الحطّابُ

يصيحُ بأوراقهِ

فترتجفُ الغابة . [xxvi]

فالحطـــاب بهيئتـــه او بصـــورته دائمـــاً مـــا يحيلنـــا إلـــى نمطيتـــه المعنفـــة للأشـــجار ســـواء بـــالقص أو التكســـير أو التقلـــيم ، وهـــذه التشخيصـــية التـــي اشـــتغل عليهـــا لشـــعار مـــا هـــي بعـــث واضـــح نحـــو إلـــه الســـلطة وقائـــدها فـــي تلـــك الفتـــرة ، وفعليـــة الارتجـــاف والصـــيح هـــي مســـيطر انجـــازي صـــوري مباشـــر عـــن تلـــك الفتـــرة السياســـية الممثلـــة برئيســـها ، و مخيلـــة الشـــاعر اعـــدت هـــذه الصـــورة للنقـــل المباشـــر اشـــراكاً للمخـــيلات الجمعيـــة الباقيـــة التـــي تتلقـــف الصـــورة نفيســـه .

البحـــث عـــن نـــص وفـــاء عبـــد الـــرزاق دائمـــاً مـــا يضـــعنا بموضـــوعي الحـــب والوطن ، وهما متلازمتان اخذتا مساحة طويلة من شعرها ، وفي نصها :

في مواجهةِ شاي الصّباحِ

تعبرُ أصابعُ طويلةٌ

تدخلُ غرفةَ نومي

تعبثُ بأوراقيِ

وتربكُ الستائر

لم يعدُ الدّمعُ يكفي إناءهُ

لم يعدُ الفضاء يتسعُ

لنجمةٍ خارج حدودِها

آهٍ . [xxvii]

إن طولية النص قائمة على متلازمات متكونة من موضوعات الخوف والقلق والعنف على سبيل المثل (تعبر أصابع طويلة) تحيل الى القلق الموجود والقلق بادئ فعلي عنفي مضاد لربما حسب الموقف الفعلي بعده ، (تدخل / تعبث) أفعال انجازية الفعل الثاني ايضاً معنف الى حد ما مضاد سلوكي واضح ، مع ارباك الستائر منتهية في النص هذا الى اغلاق النص بـ (آه) الطويلة وهي فعل سلوكي عنفي نوعاً ما يدل على الحسرة / العنف / الارباك / التبعثر بحسب ممكناته النصية .

لكاظم الحجاج تصورات مختلفة، نابعة من مخيلة خاصة للشاعر ، وهي تمثيل شعري عراقي مختلف ، والمعروف بصورة البعيدة الممدودة بكمية معرفية باعثة على التخيلات المستمرة ، وفي نصه الذي وضعنا أمام الصورة الباعثة على جملة من المعنفات الكلية :

يخوّفني خيالي حينما يهتزُ حول النارْ

وأخشى من ظلام القهوةِ المنسيَّ في الفنجانْ ...

و يا للهِ ! كم عانيتُ من رؤيا :

تراءى لي خروفٌ كان مذعوراً

وكنتُ وراءه الجزّارْ...

توسلَ بي ، ولكن كنتُ جزاراً

أيخجل مِن عيون خروفهُ الجزّار ؟!

و يا لله ! كم عانيتُ ، بعد الصحو ، من كفّيَ

لأمسحَ وصمة السكين ! [xxviii]

ثمة مؤسسات حقيقة تقترب من الواقع وضعتها مخيلة الشاعر ، (المخيلة المعِنّفة و المخيلة المعنَفَةَ) وهذه المضاداتان هي ما أسست لولادة هذا النص فثمة استلابات واضحة بدءاً الخوف المتجسد بداية النص وعتبته الأولى ، وقلت مسبقاً كل خوف ما يشيء او ما ينتج فعل عنفي مضاد نتيجة الموقف السلوكي الحاصل ، انتقالاً الى مقطع الرؤيا للشاعر هناك سردية صورية مؤسسة لصورة العنف بكل تمفصلاتها ، ووضع الخروف بموضع الذعر هو تشيؤ وجودي بمحله بما معنى أن الخروف هو (الفرد العراقي إن لم يكن يقصده الشاعر أو ذاته) فعلية التوسل أيضا تتضاد او تصادم مع فعل السلام بمعنى انه حركية الصورة مستمر، وتوظيفيات يا النداء المتكرر هو صورة شعبية موظفة دائماً للنجاة والخلاص من وقع الفعل ، وبالنهاية الصورة الحركية السريالية البشعة تغلق مسح وصمة السكين ، وهذه المواضعات النفسية إن تكن بواسطة الحلم فهي صورة

معنفة متكاملة مقطعية معبرة عن العنف ومالاتها عن طريق التخيل من الشاعر إلى تخييل المتلقي ، وهكذا .

الخاتمة

لقد تمخضت عوالم هذا البحث عن جملة من النتائج الكلية التي عهدها الباحث أن تكون باعثة في التصور النقدي المعاصر ،كشفاً عن التوظيف الموضوعي الشعري في النص التسعيني وهويته :

1. العنف واحد من الموضوعات الفكرية التي لاقت قبولاً واسعاً عند العديد من الدراسات الإنسانية ، نتيجة لخطورته الكلية في البناء والسلام المجتمعي الحديث .

2. للنص الشعري التسعيني خصوصية في التلقي ، عبر عن نفسه بكل منجزات اللغة وممكناتها الانجازية ، بحثاً عن االرمزية التي حاول الشعراء التوري خلفها كبقاء وجودي منتج للشعر العراقي .

3. شيوع ثقافة الاستنساخ ما هو إلا صورة من صور الاستلاب الثقافي الذي عملت عليه السلطة .

4. الخرائط اللسانية الخاصة بلفظة (العنف) أتسعت بعيداُ نحو (الإرهاب / القلق / الموت / الحرب) .

5. قدمت النصوص التسعينية نفسها كتعبير وجودي يرتبط بالحياة أو الموت ، نتيجة للضغط الهائل الذي تعرضت له الفردية العراقية حينها .

6. المخيلة الشعرية الخاصة بالشاعر وبحسب الزمنية اتخذت من العنف لا استعمالاً لفظياً مخصوصاً ، بل وظفته كصور سريالية عالية المستوى .

7. النص التسعيني افضى لولادة نص جديد خصوصاً بعد شعرية 2003 ، خصوصات مليئة بالاغتراب والتوحش والعنف والحرب ، نتيجة لما اسميته[xxix] بالمخيلة المشوهة .

الهوامش :

([i]) المعجم الفلسفي للألفاظ العربية والفرنسية والانكليزية واللاتينية : جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني ، 1982 ، 2 / 572 .

([ii])قراءة تحليلية لظاهرة العنف اللغوي اللفظي : سمير توية و أ . د . جمال معتوق ، مجلة تمثلات مجلة علمية أكاديمية – جامعة مولود معمري ، م 4 ، ع 1 ، 2020 ، 1010–103 .

([iii]) ينظر (بحث) تمثلاث العنف في الشعر العربي القديم : ا. د . فائز هاتو شرع و م . م . سرى ظافر سلمان ، مجلى اكليل للدراسات الانسانية ،ع 11 ، ايلول 2022 ، 721 .

([iv]) العنف الرمزي في الشعر العراقي : د . حذامبدر مجلة كلية التربية للعلوم الإنسانية في الجامعة المستنصرية ، ع 6 ، 2016 ، 527 .

([v]) عنف اللغة : جان جاك لوسركل ، ترجمة محمد بدوي ، ومراجعة سعد مصلوح ، نشر وتوزيع الدار العربية للعلوم والمركز الثقافي العربي ط 1، 2005، 367 .

([vi]) الغنف الرمزي في الشعر الجاهلي (مظاهره وتجلياته) أ . م. د . نجاح مهدي علوان ، مجلة حولية المنتدى تصدر عن جمعية المنتدى الوطني لأبحاث الفكر والثقافة ، ع 53 ، السنة الرابعة ، 2023 ، 175 .

([vii]) العنف الرمزي (بحث في أصول علم الاجتماع التربوي) : بير بورديو ، ترجمة نظير جاهل ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء – المغرب ، ط1 ، 1994 ، 7 .

([viii]) ينظر : دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي ، اضاءة توثيقية للمفاهيم الثقافية المتداولة ، مراجعة وتعليق د. سمير الشيخ منشورات اتحاد الأدباء والكتاب في العراق ، 2022 ، 444–445 .

([ix]) سوسيولوجيا العنف والارهاب : ابراهيم الحيدري ، دار الساقي – بيروت لبنان – 2015 ، 117

([x]) الشعر العراقي الآن : فرج الحطاب و عباس اليوسفي ، بغداد ، ط1 ، 1998 ، 4 .

([xii]) تجييل الكتابة الشعرية في العراق بين التنظير والاجراء دراسة في الجيل التسعيني : سعيد حميد كاظم ، ط1 ، دار الشؤون الثقافية في العراق ، بغداد ، 2013، 92/ 7 .

([xiii]) البنى الاسلوبية في شعر التسعينات – الشعر العراقي الحديث م . د . عقيل رحيم كاظم ، مجلة كلية التربية للعلوم الانسانية ، ع 6 ، 2018 ، 89 .

([xiv]) جدل النص التسعيني دراسة ومختارات عن تجربة الجيل التسعيني في العراق : د. علي سعدون ، ط1 ، 2017 ، دار غيداء ، عمان ، 107 .

(xv) الأعمال الشعرية: عدنان الصائغ ط1 ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت ، لبنان ، 34 .

(xvi) دار سطور للنشر والتوزيع – بغداد ، ط1 ، 2018 ، 43 . الأعمال الشعرية 1995–2015 : عارف الساعدي ،

(xvii) احتفاءً بالوقت الضائع ، ريم قيس كبة ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، 1999 ، 52 .

(xviii) سيكولوجية الإرهاب السياسي : د. خليل فاضل ، ط1 ، إصدارات خليل فاضل ، القاهرة 1991 ، 91 .

(xix) الأعمال الشعرية 1985–2015: أحمد الشيخ علي ، ط1 ، دار الرافدين ، لبنان – الحمرا ، 2020 ، 17 .

(xx) الأعمال الشعرية : خزعل الماجدي : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، 2001 ،1/ 136 .

(xxi) الشعر العراقي الآن : إعداد وتقديم فرج الحطاب و عباس اليوسفي ،27 .

(xxii) ريشة من أسف : عماد جبار هلال ، ط1 ، دائرة الثقافة والإعلام في الشارقة ، الامارات العربية المتحدة ، 2002 ، 69–70 .

(xxiii)الشعر وإرهاب اللغة نحو قراءة في تجربة الشاعر علي فرحان : د . علي متعب جاسم ، مجلة تامرا (مجلة فصلية ثقافية جامعة) تصدر عن اتحاد والأدباء والكتاب لافي ديالى ، ع 7+8 ، 2019 ، 136 .

(xxiv) الأعمال الشعرية : عبد الأمير جرص ، ط1 ، طبعة مشتركة بين دار سطور ودار الفيل ، 2020 ، 88 .

(xxv) تاريخ الأسى : طالب عبد العزيز ، منشورات أتحاد الأدباء السلسلة الشعرية (1) ، ط1 ، 1994 ، 24 .

(xxvi) سبب النايات : نامق عبد ذيب ، منشورات الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق – بغداد ، ط1 ، 2020 ، 75 .

(xxvii)المجموعة الشعرية الكاملة : وفاء عبد الرزاق ، ط1 ، دار ليندا للطباعة والنشر والتوزيع ، سوريا – السويداء ، 2018 ، 999 .

(xxviii)الأعمال الشعرية : كاظم الحجاج ، دار سطور ، بغداد ، ط2 ، 2021 ، 107–108 .

المصادر والمراجع .

المصادر :

([xxix]) العنف الرمزي (بحث في أصول علم الاجتماع التربوي) : بير بورديو ، ترجمة نظير جاهل ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء – المغرب ، ط1 ، 1994 .

([2]) الشعر العراقي الآن : فرج الحطاب و عباس اليوسفي ، بغداد ، ط1 ، 1998.

([3]) تجييل الكتابة الشعرية في العراق بين التنظير والاجراء دراسة في الجيل التسعيني : سعيد حميد كاظم ، ط1 ، دار الشؤون الثقافية في العراق ، بغداد ، .

([4]) جدل النص التسعيني دراسة ومختارات عن تجربة الجيل التسعيني في العراق : د. علي سعدون ، ط1 ، 2017 ، دار غيداء ، عمان .

([5]) دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي ، اضاءة توثيقية للمفاهيم الثقافية المتداولة ، مراجعة وتعليق د. سمير الشيخ منشورات اتحاد الأدباء والكتاب في العراق ، 2022 .

(6) سوسيولوجيا العنف والارهاب : ابراهيم الحيدري ، دار الساقي – بيروت لبنان – 2015 .

(7) سيكولوجية الإرهاب السياسي : د. خليل فاضل ، ط1 ، إصدارات خليل فاضل ، القاهرة .

(8)المعجم الفلسفي للألفاظ العربية والفرنسية والانكليزية واللاتينية : جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني ، 1982 ، الجزء الثاني .

(9) عنف اللغة : جان جاك لوسركل ، ترجمة محمد بدوي ، ومراجعة سعد مصلوح ، نشر وتوزيع الدار العربية للعلوم والمركز الثقافي العربي ط 1، 2005.

المجموعات الشعرية :

(1) احتفاءً بالوقت الضائع ، ريم قيس كبة ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، 1999.

(2) الأعمال الشعرية : خزعل الماجدي : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، 2001 ، الجزء الأول .

(3) الأعمال الشعرية : عبد الأمير جرص ، ط1 ، طبعة مشتركة بين دار سطور ودار الفيل ..

(4) الأعمال الشعرية : كاظم الحجاج ، دار سطور ، بغداد ، ط2 ، 2021

الأعمال الشعرية 1985–2015: أحمد الشيخ علي ، ط1 ، دار الرافدين ، لبنان – الحمرا ، 2020 .

(5) الأعمال الشعرية 1995–2015 : عارف الساعدي ، دار سطور للنشر والتوزيع – بغداد ، ط1 .

(6) الأعمال الشعرية: عدنان الصائغ ط1 ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت ، لبنان .

(7) تاريخ الأسى : طالب عبد العزيز ، منشورات أتحاد الأدباء السلسلة الشعرية (1) ، ط1 ، 1994 .

(8) ريشة من أسف : عماد جبار هلال ، ط1 ، دائرة الثقافة والإعلام في الشارقة ، الامارات العربية المتحدة ، 2002 .

(9) سبب النايات : نامق عبد ذيب ، منشورات الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق – بغداد ، ط1 ، 2020 .

(10) الشعر العراقي الآن : إعداد وتقديم فرج الحطاب و عباس اليوسفي .

(11) المجموعة الشعرية الكاملة : وفاء عبد الرزاق ، ط1 ، دار ليندا للطباعة والنشر والتوزيع ، سوريا – السويداء .

البحوث الأكاديمية :

(1) البنى الاسلوبية في شعر التسعينات – الشعر العراقي الحديث م . د . عقيل رحيم كاظم ، مجلة كلية التربية للعلوم الانسانية ، ع 6 ، 2018 .

(2) تمثلاث العنف في الشعر العربي القديم : ا. د . فائز هاتو شرع و م . م . سرى ظافر سلمان ، مجلى اكليل للدراسات الانسانية ،ع 11 ، ايلول 2022 .

(3) الشعر وإرهاب اللغة نحو قراءة في تجربة الشاعر علي فرحان : د . علي متعب جاسم ، مجلة تامرا (مجلة فصلية ثقافية جامعة) تصدر عن اتحاد والأدباء والكتاب لافي ديالى ، ع 7+8 ، 2019 .

(4) العنف الرمزي في الشعر الجاهلي (مظاهره وتجلياته) أ . م. د . نجاح مهدي علوان ، مجلة حولية المنتدى تصدر عن جمعية المنتدى الوطني لأبحاث الفكر و الثقافة ، ع 53 ، السنة الرابعة ، 2023 .

(5) العنف الرمزي في الشعر العراقي : د . حذامبدر مجلة كلية التربية للعلوم الإنسانية في الجامعة المستنصرية ، ع 6 ، 2016 .

(6) قراءة تحليلية لظاهرة العنف اللغوي اللفظي : سمير توية و أ . د . جمال معتوق ، مجلة تمثلات مجلة علمية أكاديمية – جامعة مولود معمري ، م 4 ، ع 1 ، 2020 .